



شواربُ سُلْطَانِ وَضِبَاعُ نَمْرَةَ¹

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

دائماً ما تطلق أسماء على الحملات العسكرية من قبيل (أم المعارك) التي أطلقت على حملة تحرير الكويت ضد صدام حسين العام 1990، وكذلك (الأسد الصاعق) لضربة إسرائيل الأخيرة لإيران، فاسمحوا لي أن أطلق على الحملة الأخيرة على السويداء بتاريخ 15 تموز 2025 اسمَ حَمَلَةِ (حلق الشوارب)، وقد طالت هذه الحملة شوارب تمثال سلطان باشا الأطرش، القائد العام للثورة السورية الكبرى في العام 1925، وبهذا فل هذه الحملة أن تفخر بحق في أنها حلقت شوارب جميع القادة الذين انضوا تحت راية سلطان باشا وبإمرته آنذاك من حسن الخراط وسعيد العاص وفوزي القاوقجي ونسيب البكري ورمضان شلاش و أحمد مريود، وكذلك حلقت شوارب السياسيين الذين ساروا معه وأعلنوه قائداً عاماً للثورة من أمثال فارس الخوري وشكري القوتلي وعبد الرحمن الشهبندر، فهنيئاً لكم كل هذه الشوارب التي جمعتوها في يوم واحد، شوارب فحول التاريخ السوري، عسى أن تصنع لكم شارباً.

وبمناسبة هذه الحملة أتقدم بهذه القصيدة كعزاء لشاربي أيضاً:

¹ سلطان باشا الأطرش، أما نمرة فهي دلالة عن قرية حرف بنمرة والتي قتل فيها الطفل (12 عاماً) إبراهيم شاهين في أول أيام العيد 31 آذار 2025 على يد متطرف إسلامي، بعد أن ادعى أنه تائه ورحبت به عائلة شاهين وقدمت له ضيافة العيد.

سُلْطَانُ يُعَقِّفُ شَارِبَاهُ

قَلْبُكَ يَفْتَحُ نَافِذَةً

حَرُّ تَمْؤُزٍ أَتَاهُ

أَهْ يَا تَمْؤُزَ مَا سِرُّكَ؟

فِي نَسَائِمِكَ حَرِيْقٌ

فِيكَ يَا تَيْنَا الْغُرَاهُ

حِجَارُ الدَّارِ سَوْدَاءٌ

وَتَحْمِينَا

وَلَكِنْ

عَيْنِي عَلَى الشَّامِ

فِي الشَّامِ نَارٌ

لِتُوقَدَ بِالْجِبَاهِ

غُورُوا أَتَاهَا

قَلْبِي عَلَى يُوسُفَ

فِي مَيْسَلُونَ يُنَادِي

تَسْمَعُ الشَّامُ نِدَاهُ

هَلْ يَعُودُ وَ لَيْلَى تَنْتَظِرُ²

لَيْلَى لَتَدْعُو فِي صَلَاةِ

أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا يُوسُفُ

كَيْ يَقْصَّ عَلَيْهَا قَبْلَ النَّوْمِ

قِصَّةَ مَجْدِهِ

قِصَّةَ صَبْرِهِ

وَشَهِيدِ

وَوَعْدِ إِلَهِهِ

مِنْ نَافِذَتِهِ

نُورَسُ بَحْرِ يَتَسَلَّلُ

مَا أَخْبَارُ صَالِحٍ³؟

هَلْ عَادَ يَزْرَعُ تُفَّاحَةً

² ليلى ابنة يوسف العظمة

³ الشيخ صالح العلي وهو من الأوائل من زرع التفاح في الجبل.

فِي دَارِهِ وَقُرَاهُ

هَلْ ضَبَعُ نِمْرَةَ

يُزْهَبُ فِي الْمَدِينَةِ

هَلْ مَازَالَ

أَمْ سُلَّتْ يَدَاهُ

هَلْ طِفْلُ نِمْرَةَ

قَدْ أَتَتْهُ هَدِيَّةُ الْعِيدِ

زُنَّارًا جَدِيدًا⁴

بَعْضَ حَلْوَى

عَلَى قَبْرِهِ وَثَرَاهُ

دَمْعُ سُلْطَانَ يَا بُنَيَّ غَزِيرٌ

يَسْتَقِي قَبْرَكَ

أَمْ هُوَ قَبْرُ قَاتِلِكَ

وَمَنْ وَالَاهُ

⁴ كان طفل نمرة عندما قتل في يوم العيد يربط بنطاله بخرقه كزنار من الفقر.

أَلَا تَبَّتْ يَدَاهُ

أَلَا تَبَّتْ يَدَاهُ

سُلْطَانُ يَذْهَبُ لِلْحَقْلِ

يُعَانِقُ زَيْتُونَةَ هَرِمَتْ

وَالعِنَاقُ حَيَاهُ

هِيَ أَعْلَمَتْهُ

أَنَّ لَازِيْتُونَ هَذَا العَامِ

كُلُّ الحَالِ آهَ

تَمْوُزُ يَمْنَعُهَا الخُصُوبَةَ

لَأْتَمُرَّ بِحَرِّهِ

لَازِيْتُ

وَلَا أَشْبَاهَ

أَيَا تَمْوُزَ

أَلَسْتَ لِلْخُصُوبَةِ فِي بِلَادِي إِلَه؟

كَيْفَ صِرْتِ

إِلَهَ الْحَرْبِ

إِلَهَ الْمَقَابِرِ

تَأْتِي بِمَوْتِ

لَيْسَ فِيكَ نَجَاهُ

ضِبَاعُ نَمْرَةَ

تَأْتِي سُلْطَانًا عَرِيْنَهُ

وَسُلْطَانٌ تُحِيْطُ بِهِ سِبَاعُ

وَسُلْطَانٌ يَعِيْشُ يَشْحَدُ

فِي مَخَالِبِهِ لَضْبَعِ

إِنْ يُفَكِّرُ فِي خِدَاعِ

وَسُلْطَانٌ لِيَعْلَمُ خِسَّةَ الضَّبْعِ

إِذَا فِي السَّبْعِ

غَارَ النَّابِ

أَوْ تَعِبَ الذَّرَاعُ

كُلُّ الضَّبَاعِ تَشَابَهَتْ فِي غَدْرِهَا

مِنْ ضَبْعِ غُورُو

لِضَبْعِ نَمْرَةٍ

لَيْسَ تُخْفِيهَا

عُطُورٌ أَوْ قِنَاعٌ

كُلُّ الضَّبَاعِ لَهُمْ

عَلَى صُخُورِ الْمَزْرَعَةِ⁵

مَوْتُ

بِمِخْلَبِ لَيْثٍ إِنْ تَدَاعُ

إِذَا مَارَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً⁶

لَا تَحْسَبَنَّ بِأَنَّ اللَّيْثَ يَبْسُمُ لِلضَّبَاعِ

سُلْطَانُ يُنَادِي

⁵ هي قرية المزرعة التي دارت فيها أول معارك الثورة السورية عام 1925 بين الدروز والفرنسيين، حيث انتصر الدروز بنصر ساحق.

⁶ بيت المتنبي الشهير

(يَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَا أَهْلَ بَيْتِ عَلِيٍّ)⁷

هَلْ مِنْ سَمَاعٍ؟

أَيْنَ خَرَاطِكُمْ

وَعَاصِكُمْ

وَمُرْيُودُ

وَزَيْرُ السَّبَاعِ

أَيْنَ بَكْرِيَّتِكُمْ

وَقَاوُجِي

وَشَلَّاشُ⁸

كَانُوا كَالْقِلَاعِ

مَا بِالْكُفْرِ

هَلْ تَسَلَّلَ اللَّيْلُ

لَيْلُ الضَّبَاعِ إِلَيْكُمْ

فَأَسْكِرْكُمْ خَمْرَهُ وَإِيقَاعُ

⁷ من مقدمة بيان الثورة السورية العام 1925 بتوقيع قائدها العام سلطان باشا الأطرش.
⁸ بعض قواد ثورة 1925: حسن الخراط وسعيد العاض وأحمد مريود ونسيب البكري وفوزي القاوقجي ورمضان شلاش.

هَلْ أَلْفِتُمْ ذَلَّكُمْ

فَمَا عَادَ لِمَرْكَبِكُمْ شِرَاعٌ

تُومُوا اسْتَفِيقُوا

فَلَأَمْرٌ مَا جَدَعَ ضَبْعٌ أَنْفَهُ⁹

وَارْتَدَى حَمَلًا

لِيَصْنَعَ عَارًا مَا اسْتَطَاعَ

حِصَانٌ طُرُودَةً فَاحْذَرُوهُ

أَنْ يَفْتَحَ الْأَبْوَابَ

لِمَنْ شَرِبَ الدَّمَاءَ

دِمَاءَكُمْ

وَابْتِاعَ

أَيَا أُمَّتِي

أَمَا عَادَ لَكَ بَيْنَ الْأُمَّمِ

مَنْبَرٌ لِلْعَقْلِ

⁹ المثل المشهور: لأمر ما جدع قصير أنفه، كدلالة على أن يفعل الأمر شيء بنفسه لغاية الغدر.

لَا صَوْتُ الرَّعَاعِ

أَيَا أُمَّتِي

قَوْمِي اسْتَفَيْتِي

وَاسْمَعِي

صَوْتَ الْجِيَاعِ

بُطُونُ ضِبَاعِكَ

قَدْ أَنْخَمَتْ مِنْ لَحْمِهِمْ

حَتَّى النُّخَاعِ

أَيَا عَارِكُمْ

وَعَارَ سُلْطَانَ

أَيَا عَارَ السَّبَاعِ

أَنَا لَنْ أُغَادِرَكُمْ

فَشَارِبِي وَمِخْلَبِي مُعَقَّفُ

لِكُلِّ قِرَاعٍ

سَأَبْقَى لِلسَّبَاعِ أُنَادِي

وَوَيْلٌ لِّضَنْعٍ

إِذَا مَا السَّنْعُ عَادَ بَعْدَ ضِيَاعٍ

فَسَمًّا بِهِذِي الأَرْضُ

وَزَيْتُونَتِي الَّتِي هَرَمَتْ

لَنْ يَعُودَ تَمُوزٌ إِلَيْنَا

إِلَّا بِالخُصُوبَةِ

لَا مَوْتَ

وَلَا أَوْجَاعَ

د. مصطفى حسين بطيخة

دبي، تموز 2025